للصلوات ألوان

«التحدي في شعر المرأة جيهان شعيب أنموذجا»

عن دار الرشيد في القاهرة صدر للشاعرة «جيهان شعيب «مجموعتها الشعرية البكر الموسومة» ألوان الصلوات» سنة 2018م تضمنت «25» نصا شعريا معظم النصوص جاءت موزونة وفيها من النصوص ما ينتمي لشعر التفعيلة الابن الشرعي للنص ألعامودي.

وقبل تصفح هذه المجموعة لابد من مناقشة جدلية «شعر المرأة» أو «الأدب النسوي» أو «شعر الأنثى» كما ذهب لذلك محمد جلال في حديثه عن الإشكالية.

ينبغي في البداية أن نقف عند مصطلح الشعر النسوي أو الأدب النسوي هذا المصطلح الذي مازال النقاد في اختلاف كبير حوله، فمنهم من يرفض تجنيس الأدب معتبرا أن مشاعر المرأة هي أساسا كمشاعر الرجل ويرفضون تقسيم الشعر وفق جنس الشاعر.

بينما ذهب فريق أن الشعر النسوي ما دافع عن حقوق المرأة في مجتمع فيه تطغى الذكورة ويتصدر فيه الرجل المرأة في كل شيء ولا

يمكن اعتبار ذلك من الصواب فليس الشعرية باي حال قابلة للتذكير أو التأنيث.

والفريق الثالث ما يذهب إليه فاكت، حيث يقول إن «الأدب الذي تكتبه المرأة مستسلمة فيه لجسدها، كما أورد ذلك أشرف توفيق في كتاب «اعترافات نساء أديبات» وشاعت مصطلحات عديدة واردة من الغرب كما هو الحال في كون العربي «المتلقي» في معظم الأحيان لما يصدر من الغرب فشاع مثلا «أدب الروش، أدب الأظافر الطويلة، أو الملائكة والسكاكين» وهذا ما قال به أنيس منصور، وإحسان عبد القدوس، واصفين ما يصدر عن المرأة أدب «رنيني» من حيث التأثير معبرا عن سمات المرأة .

في الوقت الذي نجد محمد جلال إدريس سمّاه «الأدب الأنثوي» من أجل الفصل بين النسوية الواردة من الغرب وخصوصية «أدب المرأة العربية»، ومع هذا وذاك ليس بالإمكان التخلي عن رؤية «أدب المرأة» الذي يشكل تعبيرا صادقا عن كينونتها في المجتمع ودورها في مجمل الأجناس الأدبية.

وأقول: للمرأة العربية الأديبة خصوصية تحددها الأعراف السائدة ونظرة المجتمع بكافة مستوياته لنتاج المرأة الشعري أو السردي، والشاعرة «جيهان» تنتمي لمجتمع عربي يحتفظ إلى الآن

بأعراف وتقاليد يعامل بها الأنثى باعتبارها «تابعة» وغير متبوعة و«ملحقة» دون أن يلحق بها الذكر، بمعنى مجتمع ذكوري بامتياز كما هو حال كل المجتمعات العربية، وأذهب بعيدا أن مجتمعاتنا ورغم التطور الهائل في أساليب الحياة مازال ينظر لما تنجه المرأة في مجال الآداب والفنون «مخلٌ بالقواعد العرفية العامة» بل تعتقد بعض المجتمعات المتخلفة أن إبداع المرأة في مجالات الأدب «عورة». ولا يسمح لبعضهن بالنشر بأسمائهن الصريحة، حتى لا يقال أن «زوجة أو بنت أو أخت فلان شاعرة» ليس هذا فرية بل هو حقيقة نتلمسها كل يوم هنا وهناك في معمورتنا العربية ولا تعميم في هذه المسألة.

كتبت جيهان بعفوية تامة وبحرية كذلك بحيث تجد أنها تخلّت عن «الرقيب» الذي يشم الحروف بعدها ويخضعها لحسابات دقيقة في حال خروجها عمّا سُمح للمرأة العربية الخوض فيه شعرا «الرثاء أو المديح» بناءً على الموروث إلا بعض الاستثناءات «ونحن نعلم جيدا أن بثينة صاحبة جميل، وأميمة فاتنة ابن الدمينة، وليلى معبودة قيس، قد كن شاعرات مجيدات، والسؤال أين ما جادت به قرائحهن من الغزل الرقيق؟ مع ما يعترف به التاريخ من تفانيهن في العشق، وجنونهن في الحب، اللهم إلا أن تجد لكل واحدة مقطوعة ضئيلة لا تتناسب مع

ما يتأجج في صدرها عشق! إلا عنان جارية المتوكل وقد ضاع من شعرها الكثير كما جاء في كتاب الاماء الشواعر وأمثالها ممن خرجن عن القاعدة»

تقول الشاعرة:

«أنني امرأة السوء/ وأني مزجت بعهر النساء/ حفاة همو وعراة همو/ في كهوف الخفاء» ص10.

جيهان تبدو شاعرة ذكيه عرفت من أين تؤكل الكتف فقد استغلت عنصر التشبيب بالوطن أثمر فنجحت في ايصال صوتها كشاعرة مجيدة في غرض الغزل،، والتعبير عن خوالجها، لما تعلمه من الصلة الوثيقة بين الحبيب والوطن، وهي بذلك قد ابتعدت عن الألسن التي تتحين الإيقاع بالمرأة الشاعرة . تقول جيهان:

«أرسم عمراً/ منزوع البهجة والألـوان/ أرسم بحرا، رملا موجاً/ والبحر على شفتيه الرمل / وعنف الموج / بطول الرحلة يختصمان/ ... لم أسمع للخيل صهيل/ وحرمت حليب الاوطان» ص27 – 28

الحرمان الذي تتحدث عنه «جيهان» ذلك العرف السائد الذي يحسب للأنثى الشاعرة السقطات العاطفية والإفصاح عن مشاعرها

كما يفعل الذكر. وهنا استعاضت بالوطن وأفهمت حبيبها كل شيء. فأدرك من حنينها الذائب ما يتقد في أحشائها من شوق، وهذا في الواقع ذكاء كبير يحسب للشاعرة، هو بعيد المنال الاغلب الشواعر ممن اكتفين بالاحتماء بساتر الرجل ومزاجيته في أن تقول كذا ولا تقول كذا، وصلت جيهان لغرضها من ايسر طريق فلا يلومها في ذلك لائم وهذا ما عرف «بحسن التخلص».

وحين تتحدى الشاعرة فإن ذلك ضرب من الشجاعة في القول إذ تقول:

يا ساكناً قلبي انتبه/ أنا لم أزل رغم الهزيمة حرة لم أهزم/ خذ ما تبقى من يدي مني ومن أيامنا/ فاليوم اقطع معصمي/ ... إن القوافي من سواي أنادم / فالشعر يكتب دائما من معجمي/ ص37.

عشق وتحدٍ واضح وفخر بالنفس وثقة عارمة والشاعرة هنا تجاوزت نطاق الحيطة التي تلجأ إليها أخريات خوفا لتسير مع الأخلاق النبيلة وأزعم أن مثل هذا النوع تتبناه السذج من لشواعر ممن يبالغن في الحذر والحيطة، فتعلن لك الواحدة منهن أنها تتقي الله عز وجل وتأتمر بأمر العفاف، ثم تعتقد أنها قد آمنت بذلك ما عسى أن يوجه إليها من ملامة أو نقد، بمعنى أنها تهربت من مشاعرها الحقيقية معلنة رضوخها واستسلامها ولا أحسب ذلك من الصواب.

تقول أم ضيغم البلوية وهي شاعرة مجيدة لكنها تظهر ما تخفي:

نذود بذكر الله عنا من الصبا ...

إذا كـــان قـلـبـانـا بـنـا يجفان

ونصدر عن أمر العفاف وربما ...

نقعنا غليل القلب بالرشفان

قالت أم ضيغم[1] التي حفظت عشيقها حتى الممات وهي من شواعر الجاهلية متجاوزة الأعراف السائدة معلنة أن المرأة مهما تظاهرت بالعفة والتقى إلا انها تضعف مستجيبة لمشاعرها دون شك وهذا التصريح هو الأكثر قبولا .

تقول شاعرتنا جيهان:

«ألا لبيك يا شهد الهوى لبيك/ وبين سني عشق العشق / بين ضجيج صمت الصمت أجهر/ باشتباك شفاهي الولهى مع شفتيك/ وأعلن في الهوى تمزيق أجنحتي» ص63

هو تصريح جريء للعشق ولا تَحفّظ، ومهما يكن من أمر فلا يؤول هذا المقطع بغير هذا المعنى الذي وضع لأجله.

(1) اسمها خيرة وكنيتها أم ضيغم البلوية، نسبة إلى بلي وهو جد جاهلي يماني من قضاعة من حمير.عشقت ابن عم لها فدرى أهلها بالأمر فحجبوها عنه ولكنها كنت تلتقي به حيناً وآخر، وحفظت عهده إلى اللمات. ينظر: الكامل للمبرد، ص162، والامالي لابو علي القالي.

والحقيقة أن الوضوح ليس مثلبة على الشاعر فهو في القصيدة المعاصرة ليس هو الخطابية ولا المباشرة الفجة، وإنمّا هو الوضوح الذي يدرك من ورائه قارئُ الشّعر المثقَّفُ – الذي دأب على سبر أغوار الإبداع الأدبيّ – رسالةَ الشاعرة / الشّاعر وخطابه وليس هذا عيبا في الشعر البتَّةَ، بل هو مؤهّله لأن يؤدّيَ دورا حضاريا وريادیا في الحركة الثّقافية والفكريّة والشعريّة المعاصرة، وهذا ما تحقق في المقطع أعلاه . فوضوح المقصد ووضوح الرّسالة هوّ مقوّم من مقوّمات العمليّة الإبداعيّة، والصّدود عنه قد يجرّ الشّاعر إلى تهويمات وطلاسم، والأدهى من ذلك أنّنا قد نجد من يفخر بذلك ويعدّه إبداعًا، كما نجد اليوم من ادعاءات فارغة يزعم بعضهم «انه يكتب للنخبة» كما حصل لي وسألت يوما أحد المطلسمين فأجابني بذلك .

أتوقع أن للشاعرة «جيهان شعيب» مقعدا مرموقا في الشعرية العربية وهي تخطو بثقة نحو سلم الشعر، ولا يفوتني أن أذكر بعض الملاحظات البسيطة التي لا تقلل من قيمة العمل بكلياته .